

د. سعاد دریر

أَصَابِعُ بَدُونِ شِفَاهِ

— شِعْرٌ —

إلى ضيف المستحيل
المعلق ...

ذيل آخر

جاءني

من النافذة الخلفية

يثمّن طقوسا طوباوية

تكتبني بصيغة الجمع

ويدفن بين أحد عشر أصبعاً

شموساً

لم تشرق يوماً عليّ.

أدركتُ حينها

أني النجم القطبي،

وأدركتُ

في وقت متأخر
أن كل شيء يؤنث
لا يُعوّل عليه.

ما يخبئ لي تشرين
غير خيوط النهاية
التي تحيكني وجعا ليلكيا
يعتصر جنوني
ويمتصّ زيد ذكريات
لا تعرف نقطة النهاية.

اليوم يعود تشرين
محملاً ببشائر عيد الموتى،
وها شمعتي
الآيلة للذوبان

تجدد ذكرى رحيلي

بإيقاع الاحتراق

حدّ السقم...

اليوم أدرك

أن بيبي

وبين حفرة الموت العجري

مسافة تشرين...

اليوم أدرك

أن بين نصف ابتسامتي

والنصف الآخر

ما بين الكأس والشفة

وبين الحياة والموت...

اليوم أدرك
أن الشمس التي تسقط
من حيث لا أدري
تقتات من شموعي
ودموعي
ولذلك ما فتئت تحترق
قدوما أحترق أنا... .

اليوم
أدفن موعدا آخر
مع حلم مؤجل
إلى أن تنطفئ سبحاتي
تباعا
وأنطفئ... .

اليوم
ذيل آخر
يطوي مناديلي
المعلقة
على جبل العمر المارد
وينفخ
في جذوة شجون الغد
والبارحة...

اليوم
لا ظل
يتعقب محطات رحلة التيه
والعته
حيث دمي رابض
ما بين غيمتين

ترتلان سفر الوداع
الأخير
على قارعة المنفى...

اليوم
تنوء بي مصاطب العمر
الجامئة رعشاته
على مهبّ الانتظار
وأنا أداوي السقوط بالسقوط
والعثرة بالعثرة
والدمعة بالدمعة...

اليوم
جسر آخر
يسقط على رأسي

ليمطريني حجارة
ترتق ذاكرتي المثقوبة
وتصالحني على الوجع...

اليوم أدرك
كم عليّ أن أخسر
من نهر دموع
لأريح ذيلًا
بلا رأس...

اليوم
يكتمل ميلادي
الواحد والمجنون...

اليوم

أطفئ شمعة ابتسامتي
وألون بدمي
ذيلا آخر
يجرّني إلى مقبرة أحلامي
حيث لا حارس
إلا الخيبة المحدقة
بسماء المنافي
المزهرة
في ليل شجوني.

تلك وردة حلم فيها ما أرخص شذاي

من وهج الحرف المبتلّ
أستلّ فتيل دموع
يحملني
على أمواج الخوف
إلى زاوية مغلقة.

في غياهب انتظاراتي
تترأى لي شمس الحقيقة
أسود من الغسق الجاثم،
وتجرفني المسافات
إلى قمر

مهووس برجمي
بأشعة من علقه الزمن
على قارعة الليل
وأنا حسبته أحمر
أكثر من اللازم.

جرم
أن أعمد طريق الليل
إليّ
بحكمة من يريزح
تحت الجمر
ويعتصر تباريح الروح
على وقع الحرقه
في عز مواسم الرحيل
الغاشم.

مسافات

طوّحها الدمع

على جبل الغرية

والأمل المصقول

بتجربة البوح الراكد

في صبوات الروح الثكلى

بعذابات العمر الواله.

أريض كالطير

على جسر سماء

لا تعترف

بمنطق الطير

زمن الوهم،

وأقاسم لبلاب الشتاء

القادم
تسلق حبال الصمت
الكاسر.

لو يحملني الغد
في ذروة شوقي
وحنيني الغضّ
إلى حضن الغيمة
حيث الموت جنة وصل
لا تعرف ألوان الحلم
ولا الوهم،
لا تعرف شوكا
زرعته الأيام
سنابل يتم
وشقاء

يعزف سيمفونية الدمع،
لا تعرف
غير بياض
رسمته يد عليا
خلف مدارات يقين
يقطع دابر
صلوات الشك.

موعد آخر
أتهجّاه اليوم
بحروف العين
وما على طريق الورد
غير سلال فارغة
إلا من طلع الشوق الفاتر
في دجنة أحلامي

المصلوبة
على شجر الحنين
حيث لا الشمس هي الشمس
ولا القمر هو القمر
ولا الهواء هو الهواء
الذي دلّني يوماً
على أعشاش الحلم الأبيض
وتعلّق بي صوت
أبيض من وقع هديل
وعلّقْتُ على مرّ الأيام
أنا
بذاكرة الاحتضار.

نجوم الليل مّي تدنو

وها هي
رسالة سماوية
أخرى
تكتبني بجزر الروح،
توغل بي
في مسافات
تقودني
إلى ضلعي المبتور
وما من سهوة
سوى أنفاسي المتقطعة
المصلوبة

على صومعة الوله.

الجسر

المنصوب على نهر الصمت

إلى ذاتي الحيرى

ما فتئ يميل

ويتمايل بي

عله يعلمني

فنون الرقص

على حبال الخوف

المزروع

بواحة صدري المبتلّ

بندى الأيام

الطاعنة في التيه.

جبال الوهم
أحسبني
تركتها خلفي
وإذا بي
أورخ ذاكرتها حواليّ
بريشة من يغمس إحساسه
في ماء بارد.

عيون
جبلى بالتوق
ترتسم في سماء سكراتي
الأرجوانية
وتعتصر شهد الليالي الحافية.

مواويل قلب

تبتّزه لحظات العتق
الموعد
بطلع الرغبة
في صبوات الليلة بعد الألف.

وسرب حمام
يتيم
يغني على ليلاه.

بين سماء الحلم
وقاع الجرح
تمتص الدهشة
ألوان الطيف
وتختزل الطريق
إليّ

مُتِيْمَةٌ

بمّوعد المساء القادّم

على شفير الغياب.

الليلة

أرجئ حلما موصولا

في اقتلاع شمس بلّورية

تغري

بشقّ سماء الرغبة

نصفين:

لنجوم مني تدنو

النصف الممتد

من ألف الشهوة

إلى ياء النشوة،

ولي

النصف المفروش
على خارطة الهديان.

أوراق مصلوبة على جدار العمر

ثلاثتكم
تعبرون بي
جسر الهاوية
إلى مدن الملح
ولا من مغيث...

تطفئون
آخر عود ثقاب
يشرب
نخب ولادتي المؤجلة...

ترتلون

صلاة الوداع

على بساط العمر

القرمزي الطلعة...

تذرفون

دمي الحار

على صدر أوراق

يشتهيها الحرف

على مرّ الغواية:

حرف

يحملني

على ظهر الغيمة...

حرف

يقول لحفار الذكرى

في مقبرة الروح:
"هاتها من يد الرضى"...

حرف

يبتليني

بما ابتلت به العنادُ

الوردة...

حرف

يسرج روحي

على صهوة الحلم

بعيدا

عن عين الرغبة...

حرف

يعزف على أوتار القلب

علّه يطرب

عصافير الروح

المسافرة
في ليل الربيع القادم...
حرف
يمتطيني شمسا
لازوردية
تعبق بأنفاس الرحيل التليد...
حرف
ينتشي
ما انتشيت أنا بجمره...
حرف
يذيب مكعب الأنوثة
على صفيحة الشوق...
حرف
ينتشلني
من صقيع الزمن الجاثم...

حرف

يجمع فصولي

في كتاب الغربة...

حرف

يزرعني غيمة

في سماء توقي...

حرف

يبادلني

تباريح العشق الممنوع

في صحراء الوجد...

حرف...

وحرف...

وحرف...

وأنا

السطر المصلوب

على صفحات ميتة
علّقها العمر
على جبل النسيان...

آن لي
أن أراود خيط الروح
عن نفسه
وأنفخ في جمر غيابه
التاسع عشر
علّه يهتك استيهامات
تأخذه إلى مساء الوعد...

آن لي
أن أصافح
قهوة الصباح البارد

بدخان الوهم
الملفوف بريشة حمامة...

آن لي
أن أقطع عنق زجاجة الحلم
الممسوس
وأكتفم أنفاس البوح
إلى ما بعد السكّنة الليلية...

ثلاثتكم
تقصّون ظفيرة حلمي
وتقتلعون شمس حنيني
إلى شرفات الغد
الآهل بكؤوس العمر
المندلقة على مرّ الوصال...

ثلاثتكم
لكم قيد الصبوات...
ولي
عتق الحرف.

ثَمَلًا يَتَقَدَّمُ إِلَيَّ النَهْرُ

سماوات حرف
أرثله صباح مساء
تنتشل حبات العمر
ثانية ثانية.
ودفء الجنون
يليق بي
بشروط
خارج نطاق احتمالي.

سفن التوق
إلى مرافئ الحلم الآمن

تكتسح خلعجان القلب
على مرّ التنائي،
وليل الغربة
أمطار حجارة
تقتلع جذور خيمتي
الوارفة السواد.

بين غضب الريح
وتعب الشمس من الوقوف
طيلة العمر
ترصد أحوال
جوقة عصافيري
التُرْفُوفِ داخلها،
تتوسد غيمة الأمل أفق السماء
موغلة في سبات عميق

يقطع خيط الرؤية
ويحجب ضوء الفجر.

بين قمر وقمر
ينتصب حلم على امتداد سماء
تنذر بالويل.

والويل

لمن لم يفهم بعد
أن طيور العمر تخلق

شاردة

خارج خط السطر الفارغ.

في جذوة اشتهايات الليل
للنَّيل من صحب الحرف،
يستلّ الحرف فتيل غواية

علّ يوقع آلهة الليل
في شرّ نقط
لا تعترف بتاء مربوطة.

مبني فعل الألف
الممدودة قمرا أحمر
يتوهج في صلب سماء
تقتات على أمواج البحر
الممتد على مسافة عمر
يأبى أن يقايض أمواج البحر.
وممنوع حرف الجر
المصلوب على قارعة الحلم
من التَّيْل من البحر
ومن قمر
ما فتى يراهن خيول العمر

على سباق خاسر.

الليلة

ترتجّ سماء،

يسقط قمر تحت،

يسقط من أعلى قمرٍ آخر

يسند سيقان العمر

المتأكل من فيض الحسرة

والصمت.

قمر

فوق حسابات النجم

يلتقط تضرّع قُبْرَة

ساقتهأ أقدار الليل

إلى نهر ميت.

قمر

تحت الصفر

يراكم كئبان صقيع

جرفت قدما مندورا لليل

السابع

من أول نهر متجمد.

ومن أدنى نقطة قمر

مفصول

إلى أقصى نقطة قمر

موصول

يتراءى خط أزرق

تفصله اللحظة ما بعد البوح

عن البوح.

قمر
يمتصّ حروف البوح
ويغرب.

قمر
بحروف ذائبة
يرشق نافذة البوح
ولا ينضب.

قمر
حوله
حبل العمر يلتفّ.

قمر

نخب رضا جبل العمر
جبل الصبر
حول عنقه يلتفّ.

ههنا قمر،
وهناك قمر.
والتوق
إلى الأبعد من جمر جهنم
يعتصر النقطة
الحاملة بمدّ البحر
بعيدا
عن حروف العين.

ضفاف لك أجاريتها

أبعد من خط الرجعة
أسوار تأخذك...

أنعم من ملمس الحرير
على أكفّ الراحة
بساط يحملك...

أقرب من هذب العين
صبار يجرح الهواء
ويجرحك...

وأقسى من صرخة الروح
شجن يجلدك
وآخر يداويك...

الرغبة في إكليل المجد
على عرش الحلم
فترت،
والحمام
الذي رفف قريبا من هنا
طار،
والليل
الذي أقمر فيه عنادك
رحل،
والسّرو
الذي تسلّقه شموخك

انحنى،
والجنون
الذي دلك على رمال الطفولة
عاجلاً انطفأ...

الشجر
الذي أزهـر حنينا
بـحضورك
طفق مصلوباً عليه
ألف باهت
كالوهم،
والسنابل
التي زرعتها تـوقك
إلى قبلة الشرق
اقتلعتها ريح غياـبك،

والأمل
في الغد الأزرق
باردا كالصقيع
مرّ من هنا...

الضفاف
التي رسمتك نهدا حاما
لعت ملح كأسك
نخب الوجد،
والوجد
الذي امتشقتة سيف نبوءة
حط على نافذة حياتك
رذاذا،
والرذاذ
الذي علمك فنون الغواية

اشتهدى آفة الفجر مخرابا... .

الطرق إلى مدنك

نائه نائه،

وأنت المسافة... .

المسافة

إلى ليل سهادك

بعيدة بعيدة،

وقربك الطوق... .

الطوق

الذى ذات وعد

انتصب على جسر الخوف

أمسى أفضع من الحقيقة... .

الحقيقة
التي قادتك إليها
حفنة شموع
في أول المنفى
عبثا يؤرخها الحرف...

الحرف
الذي نبأك بدموع الورد
قلما يخطئه الحدس...

الحدس
الذي أسرّ إلى ورقة الندى
بعودتك
تكفر به أديان القلب...

القلب
الذي ملّكته نزواتك
تصفعه يد الندم...

الندم
الذي هوى بك
في الساعة الأخيرة من الليل
شيّع جثمان الأمس...

الأمس
الذي اكتوى بفتوحاتك
بريثا كان من هزة إعصارك
ملء السقوط...

السقوط
الذي أرداك أكثر حرية
من جبروت الرغبة
أحالك على سجن الذات...

والذات
الذي أضعت الطريق إليها
دلّتني عليك.

ولي طقوسي...

تعرجات

تشتهيني

لمجارة الموت فيك،

ظل بارد

يتمدد حوائيّ

بسعة الحلم،

وليل

يوازي تكهناتي الداخلية

على طريق الالعودة

والصحو نار.

في أرخبيلاتك
أبحر
بما أوتيت من فلك،
ترقب جنوبي
وأرقب أنا سواريك
على بعد نفس
من قلاع الروح.

وهبتك حنجرة
وأنتين
وأوغلت في مساءاتك المنفلتة
أرتق شمس منتصف الليل
علّ يرضيها فنارك
يا بحر
من حيث أتيتني

أُوصدْتُ بآبي
وتركْتُ أهْدآبي
مسترسلة
على نافذة الجنون.

أدرك
أن الساعة الثانية
بعد منتصف الليل
وهبتني عقاربها
لأشكّلها على هوائي
وما وقّيتُ أنا... .

أدرك
أن الليل
في منتصف الشتاء

نديّ مثل شفاه الورد
الرابض بالنافذة.

أدرك
أن النافذة مفتوحة
على أمواج الحلم...

وأدرك
أن الطوق
أوسع من عباءة الحلم.

غريب هو الليل
وبارد
بارد على شاطئ فتوحاتك،
وضيقة

هي السماء
التي ترقد فيها
غيوم رؤاي،
ولافحة هي حبات التراب
التي تستوعب
توجعات خطاي
على مرّ ثقل قدمي
الخنيفتين.

لو يحق لي
أن أنثر فوق صفحة مائك
سبحات شكّي
وأنا أداوي الخوف
بتعويذة آخر فرسان الزمن الواله...

لو يحقّ لي
أن أفقأ عين اليقين
بجبة قرنفل
ارتسمت نقطة حسن
على شفاه الأمل الكاذب...

لو يحقّ لي
أن أعرّي حصونك
يا ليل
وأنشر على جبال ظلمتك
رغبتك القديمة
في النيل مني
متى رابطتُ في محراب الدهشة
أقضم أظافر الحقيقة
رويدا رويدا

بينما تلثم شرفاتٍ
فاضت عليها المقل.

منك تنبتق فصولي
المائلة جهة القلب
وأنا أرصد
تاريخ انكسارات زنبقة
بيضاء
تقيم في سفح جبل
لم أكنه
إلا بياضا
عن ظهر ندف خاثر.
وحواليك
نصبت أشرعتي
تسافر في ليل غيابك

ملء الحضور
والسفينة أنا... ..

أنت... ..

لو تعيرني
بارقة من حنين
وشذا عنفوان
بهما أقتلع أفقا
عنده تعطل هبوب شمسي
وفيه اكتملت
قصيدة مواويلي
الجائمة على مصب نهر الطفولة
حيثما يرميني
أنا
حبة الرمل

العصية على الارتواء.

ها إليّ تحلّق

يا سرب

وفي عشقك لأن تحلق

قيد

يقتصّ من جناحيّ.

أما حدّثك القمر

بأنني ربّة الطير

أحلّق

حيث ترفرف عصافير القلب

بعيدا

عن سلطة السماء!؟

آتيك العمر

مطرا،

ندی،

ورذاذا

يكتبك

دقات قلب سفينة

ضلت طريقها إلى مرفأ آمن

أو أنفاس زهرة آس

ضلت طريقها إلى حديقة عطرة

أو تأوهات ورقة خضراء

ضلت طريقها إلى شجرة الوعد

الباسقة في جنة الوصل.

الليل

يا ليلي

يؤذن باللقاء.
والويل
يا ويلى
لمن يقترفني دمعة رحيل
وكأسا.

مرّة... قال لي.

غيوم
لو أدري
تحمليني إلى حتفي
أم أحملها على مضض
شذا فكرة طائرة.

في وقت متأخر
يزفني الموج إلى كوكب
بارد
أمّنت يومه
وما استأمن تضرّعي.

في صمت
تنسحب أقمار
ما لها وما لي سماء.

لو يعلم الأفق
أني من أهداي
صنعتُ له سبحة
بها يردد تعويذة الروح
الولهي،
ومن ماء العين
نصبت له حوضا
تستحمّ فيه شمس الغسق
الطالعة رغم أنف النجوم.

قيود
تأبى مجاراتي في مهزلة الرغبة،
وظل
يجافيني إلى ما لا بداية.

دروب الليل
تتلقّف جرحي...
جرح تأبّط جرحا
لما انحنى منكسرا
منتصرا لنفسه
ومضى يرتق بجبل دموع
نخلة حلمٍ قدس
يستله طائر الحزن
كلما حطّ على نافذتي
المغلقة.

بيني وبين الحلم
غروب
وغربة
ورياح غربية
تتوعدني جهارا
في مدينة الصمت
حيث الليل يكتبني شمعة
باردة
لا تغري فراشة...
حيث الخوف لبلاب
يتسلقني صنوبرة
آيلة للسقوط
لا تغري عصفورا
بجناح واحد...

حيث الورد

مفقود

مفقود

مفقود...

خيطة أمل رفيع

أناديه:

يا أنت،

يقول:

ما لي بك طوق

ولا طاقة.

خصلة هواء

أخبرها

بين أن تعلق بي

أو أعلق بها،
تصنع رموشا
مصلوبة على سور العين
وتمضي...

ورقة توق
تبللني بنداها
وتحجّ إلى قلبي،
فيه تقرر الإقامة
أول ما يكتمل الطواف.

ذكراك مرّة
قال لي
مرّة...
ومضى ينيش اسمه

في الذاكرة.

كسماءٍ أُمَطِرُ

في فنار
خبأتُ تسعين ليلا
وخبأتني.
رنوتُ،
رنوتُ،
ومضيتُ أَلْمَمَ خطاي
كأن شمعة لم تكن.

قرايين البوح
ما قرأت سطور العين
الغافية

ملء انكسار خيوط الروح،

والجنونُ مرايا

تغازل وجهها

فقد وجهه.

لوثة جنيتها،

وأخرى

جنت عليّ.

إلى الغيم أصبو

علّه يحملني في طريقه

إلى أبعد نقطة

لا تؤمن بسطر مكتوب.

بين حرفين

أكتبني
همزة وصل
تمنّ تحت وطأة السكون؛
لا الليل
عاد يغري وريقاتي الخضراء،
ولا النهار
يزرعني سنبله
يشدّها الهوس بلحن الوفاء
إلى طير الصبح
اليشدّو نخب شموخها
في عزّ مواسم الندى.

هواء يجرحني،
وشمس تحرقني،
وورد يلدغي

كأنني...

وكأنه...

يا أنا

الريح تبعثر موجي

وتشدّ إلى شجرة النار

قارب توقي

إلى كأس

ليس يعاقرها الحزن...

يا أنا

الغيم يمدّ إليّ

دواليه

سُلمّ خلاصٍ

وتخونني قدماي...

يا أنا
الرحيل يقدّ قميص حيني
إلى حبة رمل
سكنتني
مُدّ ألقىتُ بدلوي
في بئر النسيان...

يا أنا
الجرح ينزّ قبالة عيني،
وما من يد
تنصب العون
إلا ملحا ورمادا...

يا أنا...

يا أنا... ..

يا أنا... ..

أقايض فيك جنوبي

وأهمس للروح:

"مهلا"... ..

تنام العيون تباعا

إلا عيوني.

كالظنّ، كالندى، كالرذاذ...

وميض ملائكي
يعانق حبات الندى
ويتوسل الصبح
أن يشرف في كبرياء
على بحار الروح
حيث تحطّ،
أو يحطّ عليها القمر.

عنفوان باذخ
يليق بصبوتك
يا شذا،

وربح

أحرّ من أشواق القلب

إلى نهر الطفولة

تهبّ حواليّ

كرفيف الأمازيغي.

أراهن شمس الأصيل

لو يرفّ لها جفن

أو ينحني لها هذب

كلما ملأت يديّ

بذباها.

نسائم المساء

المغادر

تهذي بجنوني

ما قايض المطر عينيّ،
وفي راحتيّ
أخبيء بدرا
يعزف طقوس رحيله
على أوتار توقي
إلى سماء سقطت سهوا.

أجنّ
ما جنّ الليل
وأخلد إلى الصمت،
وما أن يتوجني الضجر
رّبة السكون
حتى يبايعني السكون
أميرة الكلام
أوان العطش.

بيدي
أرّوض سنابل العمر
على الشموخ
ما اكتمل العمر،
وأهادن حبّات التراب
علّ تبارك ورودي
ما انغرس السؤال
في قلعة الوجدان.

مدائن صحوك يا صبح
رحبة،
وأوتاري كسيرة،
وضيقة
ضيقة جداول رؤاي

على مد البصر
أني راودته غفواتي.

لحرقه السؤال
طعم الوجع،
ولجبروت ظنوني
وطأة الموت.

تعويذة تليق بخسارة خيالي

في متاهات الربع الخالي
وقفتُ
ما أن خايلني صوته الدافئ.

كأني لمحتُ
حصان العمر الآفل
يعدو بلا حارس،
يسرج أحلامي المتأكلة
ويلقي بها
عند الخط الفاصل
بين مواويل العين

ورقصة الموت
على مرّ خيل حروف
تبيع نُقَطَها للمستحيل.

جاءني صوته
يدسّ اللغم
في ثنايا الحرف الواحد.

رفعت رأسي
لأتأمل صرخة وجهي
فإذا بي
أبصر ظلّه.

رفعت رأسي
فإذا بي

أرفع مظلة شمسي
الآيلة للسقوط
وما سقط غيري.

رنوتُ
إلى صفحة السماء
أتأمل نجما قطبيا
مرّ من هنا
كأنه الزلزال.

ما وجدت سماء
ولا نجما...

وجدت سقفا
مثقوبا

يمطرني جمرا

وحجارة

ووابل رسائل دموية

تدسّ لي أحيث جمرة.

قطعتُ المسافة

إلى كهف مهجور

يتخلل أضلعي المنكسرة،

وألقيت بي

في فنار الروح

أغتسل بشهوة البدايات

إلى ما لا نهاية.

ها اكتملت الليلة

بعد العشر

وما برج الحلم
ينازل حقاره.

لي طريق
قطعتُ غده.
فأكون الحصن
أليحذو ضفاف جنوبي
أم أكون بلا حافر
هفوة القارعة؟؟؟

المحتويات

<u>النص</u>	<u>الصفحة</u>
ذيل آخر	3
تلك وردة حلم فيها ما أرخص شذاي	11
نجوم الليل مني تدنو	17
أوراق مصلوبة على جدار العمر	23
ثملا يتقدم إلي النهر	31
ضفاف لك أجاريها	39
ولي طقوسي	47
مرة... قال لي	58
كسماء أمطر	65
كالظل، كالندي، كالرذاذ	71
تعويذة تليق بخسارة خيلي	76